الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، قال الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى و غفر له و للشارح و السامعين – في كتابه أصول العقائد الدينية، الأصل الرابع :مسألة الإيمان قال : ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر تنقص إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ولا يخلد في نار جهنم.

ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة:

بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فمعه مطلق الإيمان وأما الإيمان المطلق فينفى عنه.

وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسُنة.

الشيخ :الحمد لله رب العالمين و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله صلى الله وسلم عليه و على آله و أصحابه أجمعين ،أما بعد .

لا يزال الكلام ماضيا في بيان مسألة الإيمان ،وقد سبق للمصنف –رحمه الله – أن بيّن فيما يتعلق بهذه المسالة أن الإيمان يشمل اعتقادات القلوب و أقوال اللسان و أعمال القلوب و اللسان و الجوارح و بيّن كذلك تفاوت الناس في الإيمان و أنهم ليسوا فيه على رتبة واحدة فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ،وبيّن أيضا أن الناس ينقسمون في الإيمان وجودا و عدما و قوة و ضعفا إلى أقسام ثلاثة :منهم من قام بحقوق الإيمان كلها وهو المؤمن حقا ،و منهم من تركها كلها وهو الكافر ،و منهم من فيه إيمان و كفر ،و إيمان و نفاق، و خير و شر،بعد ذلك بيّن –رحمه الله – هذه المسألة المترتبة على ما سبق حيث قال : ويرتبون على هذا الأصل العظيم أن كبائر الذنوب وصغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر تنقص إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام ولا يُخلد في نار جهنم.

هنا يبيّن مسالة مترتبة على ما سبق نحن عرفنا مما سبق أن الإيمان يزيد و ينقص و يقوى ويضعف ،وهذا أصل دلت عليه دلائل كثيرة في كتاب الله جل و علا و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ،و أجمع عليه سلف الأمة قاطبة ،الإيمان يزيد و ينقص يزيد بطاعة الله جل و علا و ينقص حتى لا يبقى منه شيء ،قال عمير ابن حبيب الخطمي —رضي الله عنه – :الإيمان يزيد و ينقص،قيل : و ما زيادته و نقصانه ؟ قال :إذا ذكرنا الله و سبحناه و حمدناه زاد ،و إذا غفلنا ونسينا نقص ،والإمام أحمد —رحمه الله — سُئل أيزيد الإيمان و ينقص ؟ قال : نعم يزيد حتى يكون أمثال الجبال و ينقص حتى لا يبقى منه شيء . و الله جل و علا يقول :{ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ } و قال الله تعالى :{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} والآيات في هذا المعنى كثيرة فالإيمان يزيد و ينقص و لزيادته أسباب و لنقصانه أسباب و مما ينقص به الإيمان فعل المعاصي و الذنوب ،ولهذا عقد —رحمه الله —هذه المسألة و هي أن كبائر الذنوب و صغائرها لا تصل بصاحبها إلى الكفر ،أي أن من قارف كبيرة دون الكفر و الشرك بالله أو صغيرة فإنه لا يكون بها كافرا خارجا من الملة ،المعاصي ليست أمرا ناقلا من ملة الإسلام ،وليست أمرًا موجبا للخلود يوم القيامة في النيران ،بل هي تؤثر في الإيمان نقصًا بمعنى أن وجودها يترتب عليه نقص الإيمان و ضعفه لا يترتب على وجودها انتفاء الإيمان كلية بل يترتب عليها نقص الإيمان وضعفه بمعنى أن العبد كلما زاد فعلا لهذه الكبائر و الذنوب التي هي دون الكفر والشرك نقص إيمانه بحسب فعله لتلك الكبائر ، وقوله– رحمه الله – :أن كبائر الذنوب و صغائرها ،هذا إشارة إلى انقسام الذنوب التي هي دون الكفر إلى قسمين كبائر و صغائر ،و قد قال الله تعالى :{إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً} [النساء : ٣١] وقال :{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ } فالذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر ،والكبيرة هي الذنب الذي توعد الله سبحانه و تعالى فاعله بالنار ،أو ذكر سبحانه و تعالى سخطه على فاعله أو لعن سبحانه و تعالى فاعله؛لأن اللعن لا يكون إلا على كبيرة أو جاء في الحديث أو في النصوص نفي الإيمان عنه فلا يُنفى الإيمان إلا في أمر كبير أو قيل في فاعله ليس منا كثير من الأحاديث أحاديث الوعيد تُصدر بقوله عليه الصلاة و السلام : (ليس منا) فمثل هذه الأعمال التي جاء التحذير منها و الوعيد عليها بهذه الصفة معدودة في كبائر الذنوب ، والكبيرة لا بد فيها من توبة ،قال عليه الصلاة و السلام : (الصلوات الخمس و الجمعة إلى الجمعة و رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) أما الصغائر فإن الحسنات تذهبها {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ }،(اتبع السيئة الحسنة تمحها) و الكبائر لابد فيها من توبة ،يتوب إلى الله توبة نصوحة من كل كبيرة اقترفها ، و باب التوبة مفتوح و سيأتي حديث عن هذا الجانب عند المصنف–رحمه الله تعالى — وكما قرر الشيخ —رحمه الله تعالى — الذنوب صغائرها و كبائرها التي هي دون الكفر و الشرك بالله ،تؤثر في

الإيمان نقصا و لا تؤثر في الإيمان انتفاء و ذهابا بل هي تنقص الإيمان و تضعف الإيمان لكنها لا تبطل الإيمان بالكلية ،هذا معنى قول الشيخ أن كبائر الذنوب و صغائرها التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر ،الذنوب التي بصاحبها إلى الكفر هي الكفر بالله بأنواعه و الشرك بالله بأنواعه و النفاق الأكبر،النفاق الخالص ،فهذه تنقل صاحبها من ملة الإسلام و تحبط أعماله كلها قال الله تعالى :{ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} وقال :{ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}قال :{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} ،أما الذنوب التي هي دون ذلك فإنها تنقص إيمان العبد من غير أن تخرجه من دائر الإسلام ،بمعنى أن مرتكب الكبيرة التي هي دون الكفر يبقى مسلما لا يكون بها كافرا يبقى مسلما لكنه ليس مسلم كامل الإسلام أو كامل الإيمان بل هو مسلم و مؤمن ناقص الإيمان لأن الكبائر أو الكبيرة التي اقترفها انقصت إيمانه و أضعفت دينه فيكون مؤمنا ناقص الإيمان ، أو مؤمنا فاسقا ،أو مؤمنا بإيمانه فاسق بكبيرته عبارات لأهل العلم مؤداها واحد ،قال : من غير أن تخرجه من دائرة الإسلام و لا يُخلد في نار جهنم ،يعني إن دخل النار يوم القيامة بسبب هذه الكبائر و الذنوب التي اقترفها فإنه لا يُخلد في نار جهنم لأنه لا يُخلد في النار يوم القيامة إلا الكفار المشركين ،أما عصاة أهل الإيمان إن دخلوا النار بالمعاصي و الذنوب والآثام فإنهم لا يُخلدون يوم القيامة في النار بل يبقون فيها وقتًا يُطهرون و يُنقون و يمحصون ثم يدخلون بعد ذلك إلى جنات النعيم ، و لا يبقى مخلدا في النار أبد الآباد إلا الكفار كما قال الله سبحانه و تعالى :{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ *وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ } فهذه الآية و غيرها تدل على أن الذين يُخلدون في النار أبد الآباد ولا ينالون رحمة من الله سبحانه و تعالى ولا مغفرة هم الكفار ،الذين ماتوا و لقوا الله سبحانه و تعالى كفارا قال جل وعلا :{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} وقال :{ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} والآيات في هذه المعنى كثيرة ،فالذي يُخلد في النار هو المشرك ،أما أهل الكبائر من أهل الإسلام أهل المعاصي من أهل الإسلام عصاة الموحدين هؤلاء إذا دخلوا النار فإنهم لا يُخلدون فيها بل يبقون فيها وقتًا و أمدًا ثم يُخرجون و يكون خروجهم من النار ليس دفعة واحدة و إنما على دفع لأنهم متفاوتون في حجم و عدد الكبائر التي اقترفوها في هذه الحياة الدنيا ،لهذا جاء في الحديث أنهم يخرجون من النار ضبائر ضبائر أي :جماعات جماعات أو دفعات دفعات ، قال :و لا يطلقون عليه الكفر أي أهل السنة لا يطلقون الكفر على مرتكب الكبيرة يعني من زنا أو سرق أو فعل غير ذلك من الكبائر لا يقولون هو كافر لا يطلقون عليه الكفر لأن الكفر حكم شرعي و الأمر فيه لله و لرسوله عليه الصلاة و السلام ،وليس لأحد أن يكفر هكذا بهواه و بدون دليل و لا مستند من كتاب الله و وسنة نبيه عليه الصلاة و السلام ،و القرآن و السنة ليس فيهما ما يدل على أن مرتكب الكبيرة كافر بل فيهما دلائل كثيرة تدل

على أن مرتكب الكبيرة ما زال مسلما في القرآن و السنة ،القتل قتل المسلم أخاه بغير حق هذه من كبائر الذنوب بل من أعظم الكبائر قتل المسلم بغير حق هذه من كبائر الذنوب بل هي من أعظم الكبائر وقرن الله سبحانه و تعالى هذه الكبيرة مع الشرك في بعض الآيات { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ } فقتل النفس حرام و كبيرة من الكبائر لكن من حصل منه ذلك لا يخرج من الدين ،بل يبقى عنده أصل الإسلام نعم دينه ينقص و إيمانه يضعف ضعفا شديدا ،لكن لا يكون كافرا بمجرد الكبيرة إن لم يكن قد ارتكب كفرا ناقلا من الملة أو استحلّ ما حرّم الله عليه أو نحو ذلك من المكفرات ،و إلا بمجرد الكبيرة لا يكون كافرا،ولهذا قال الله سبحانه و تعالى في آية القصاص من سورة البقرة قال :{ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} أبقى سبحانه و تعالى أخوة الإيمان مع وجود القتل ،والأخوة هنا أخوة الإيمان{ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} سمّى القاتل أخًا لأولياء المقتول ،الله جل و علا في الآية سمّى القاتل أخًا لأولياء المقتول فقال:{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ}،وفي قوله :{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا} سماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال ،فهذه الدلائل و غيرها تدل على أن مرتكب الكبيرة لا يكون بمجرد الكبيرة كافرا بل هو مؤمن ناقص الإيمان سواء بالقتل أو شرب الخمر أو السرقة أو غير ذلك من الكبائر هذه تؤثر على الإيمان تأثيرًا شديدًا من حيث الضعف و النقص ،لكن الإيمان لا يُنفى كلية و لا يُخرج الشخص من حظيرة الدين و من ملة الإسلام بمجرد الكبيرة ،ولهذا قال الشيخ هنا : و لا يطلقون عليه الكفر كما تقوله الخوارج ،و الخوارج نحلة باطلة و مذهب فاسق ،و حذّر النبي عليه الصلاة و السلام من مذهب الخوارج تحذيرا شديدا ،و قال عليه الصلاة و السلام : (يمرقون من الدين كما تمرق السهم من الرمية) ،وقال عليه الصلاة و السلام عن الخوارج : (يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان) أي همهم و شغلهم الشاغل في أهل الإسلام ، قتلا و تكفيرا و إيذاء و غير ذلك ،يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان ، أي أن أهل الأوثان في راحة و عافية من هؤلاء ،وأهل الإسلام في أذى متواصل من هؤلاء، ومن أعمال الخوارج و شنائع فعالهم تكفير المسلم بالذنب و بالكبيرة ،و مخالفين بذلك كتاب الله ، مخالفين بذلك سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وليس في القرآن و لا في السنة ما يدل على تكفير مرتكب الكبيرة ،بل فيهما من الدلائل و الشواهد و البراهين على أن مرتكب الكبيرة باقيا على أصل الإسلام ،وليس كافرا بمجرد كبيرته ،ولهذا قال الشيخ : و لا يطلقون عليه الكفر كما تقوله الخوارج ،أي لا يطلقون على مرتكب الكبيرة بمجرد الكبيرة الكفر لا يقولون هو كافر ،أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة ،المعتزلة فرقة أخرى ضالة وهم ينفون الإيمان عن مرتكب الكبيرة يقولون مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ،ينفون عنه الإيمان ،وفي الوقت نفسه لا يقولون كافر ،يقولون لا مؤمن ولا كافر ، يعني ليس من أهل الإيمان و لا من أهل الكفر ،إذن ماذا؟ لا مؤمن و لا كافر ،قالوا في منزلة بين المنزلتين ،وهذه من بدع و شنائع المعتزلة وهو قولهم في مرتكب الكبيرة أنه في منزلة بين منزلتين أي بين منزلة الكفر و منزلة الإيمان أحدثوا ذلك ،هذا اسمه في الدنيا و حاله في الدنيا

،والخوارج يقولون هو كافر و المعتزلة يقولون هو في منزلة بين المنزلتين ،وحكمه عند الفرقتين يوم القيامة أنه مخلد في النار، الخوارج و المعتزلة كل منهم يقول إن مرتكب الكبيرة مخلد يوم القيامة في النار ،ولهذا طردًا لهذا المذهب نفوا الشفاعة لأهل الكبائر ،قول النبي صلى الله عليه و سلم : (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ،قال عليه الصلاة والسلام : (لكل نبي دعوة مستجابة و إني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ،و إنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا) الحديث في صحيح مسلم ،قال : (و إنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك) طيب الذي لم يشرك لكنه وقع في معصية وقع في كبائر دون الشرك تناله أو لا لا تناله ؟ فأولئك ....لمذهبهم نفوا الشفاعة الخوارج والمعتزلة نفوا شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام ،و نفوا شفاعة الملائكة {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم : ٢٦] ،ونفوا شفاعة الصالحين من عباد الله ،كل ذلك نفوه ،نفوا الشفاعة لأهل الكبائر لماذا ؟ لأن مرتكب الكبيرة عندهم خارج من الإيمان و يوم القيامة مخلد في النيران ، جعلوا مرتكب الكبيرة شأنه شأن الكافر الذي قال الله سبحانه و تعالى فيهم :{فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ }[المدّثر : ٤٨] ،جعلوا العصاة عصاة الموحدين أهل الكبائر من أهل التوحيد و الكفار الخلّص سواء كلهم ينطبق عليهم قول الله تعالى :{ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} وهذا ضلال ،و إبطال لنصوص كثيرة تدل على الشفاعة ،يخرج الله سبحانه و تعالى من النار أقواما يأمر الملائكة أن تشفع فيشفعون ويُخرج سبحانه من النار و يأمر الأنبياء أن يشفعوا ويأذن لهم فيشفعون ،و يُخرج سبحانه و تعالى من شاء من النار،و يأمر الصالحين من عباده فيشفعون و يُخرج سبحانه و تعالى من النار ثم يُخرج برحمته سبحانه و تعالى من دون شفاعة من النار أقواما قد أن..و الحديث في صحيح البخاري و في مسلم و في غيرهما ،هذا كله أبطله هؤلاء ،و الخوارج و المعتزلة في مرتكب الكبيرة اتفقوا على أنه خارج من الإيمان و اتفقوا أيضا على أنه يوم القيامة مخلد في النيران ،واختلفوا في إطلاق الكفر عليه ،فقالت الخوارج هو كافر ، فقالت المعتزلة : لا ،ليس كافر و إنما هو في منزلة بين الكفر و الإيمان ،لا كافر و لا مؤمن ،و كل من العقيدتين باطلة و ضلال و مصادمة لكلام الله جل و علا ،وكلام رسوله صلى الله عليه و سلم ،ولهذا قال المصنف : ولا يطلقون عليه الكفر كما تقول الخوارج أو ينفون عنه الإيمان كما تقوله المعتزلة ، قال :بل يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ،هذا وصف أو اسم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة و الجماعة ،يقولون : هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ،لاحظ العبارة فإنها دقيقة جدا ، قال: مؤمن بإيمانه ؛ لأن عنده أصل الإيمان فلا يُنفى عنه ، وعنده أيضا فسق بالكبيرة ،فلا يُعطى وصف الإيمان الكامل بل يُقال :هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ،أي مؤمن بما عنده من إيمان و فاسق بما عنده من عصيان ، و يسمونه أيضا الفاسق الملي ،الفاسق الذي من أهل الملة ،ليس كافرا ،ويسمونه أيضا عصاة الموحدين ،ويُسمى أيضا مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن ضعيف الإيمان ،هذا معنى قول الشيخ :يقولون هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ،ولاحظ الكبيرة لا تخرج من الدين لكنها تفسّق الإنسان ،يكون بها فاسقا ،قال موضحا :فمعه مطلق الإيمان ،و أما الإيمان المطلق فيُنفى

عنه ، معه مطلق الإيمان أي أصله معه ،معه مطلق الإيمان أي أصل الإيمان معه لا يُنفى عنه ،وأما الإيمان المطلق فيُنفى عنه ،الإيمان المطلق أي الإيمان التام الكامل يُنفى عنه ، مثل ما نفاه النبي صلى الله عليه و سلم عنه في حديث أبي هريرة في الصحيحين قال عليه الصلاة و السلام : (لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن ،و لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ،و لا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمن ، و لا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها و هو مؤمن) فهذا الحديث نفى فيه عليه الصلاة و السلام الإيمان عمن زنا أو سرق أو شرب خمر أو انتهب نفى عنهم الإيمان ، لكن ما الإيمان المنفي هنا ؟ أطرح لكم ثلاث خيارات ما الإيمان المنفي هنا ؟ هل الإيمان المنفي هنا أصل الإيمان ؟ أو كمال الإيمان الواجب ؟أو كمال الإيمان المستحب ؟ هذه ثلاث خيارات ما المنفي هنا ؟ هل المنفي أصل الإيمان أو المنفي كمال الإيمان أو النفي كمال الإيمان المستحب ؟ ماذا تقولون ؟ المنفي كمال الإيمان الواجب ، ليس المنفي هنا أصل الإيمان ، لأن لو قيل إن المنفي هنا أصل الإيمان فمعنى ذلك أنه حُكِم عليه بالكفر و الانتقال من الملة ،فليس المنفي هنا أصل الإيمان ،لأن لو قيل المنفي هنا أصل الإيمان معنى ذلك أنه حُكم عليه بالكفر ،و لو حُكِم عليه بالكفر لرجعت العقيدة إلى تلك العقيدة الباطلة المصادمة لدلائل القرآن و السنة ، ودلائل القرآن و السنة ..على عدم تكفير مرتكب الكبيرة ،يعني مثلا شارب الخمر الرجل الذي أتي به في زمن النبي عليه الصلاة و السلام و قد شرب خمرًا و جُلد ثم أتي به مرة ثانية و جُلد ،ثم أتي به ثالثة و جُلد ،فقال بعض الصحابة : لعنه الله ،ما أكثر ما يُؤتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشرب الخمر،فقال عليه الصلاة و السلام : (لا تلعنوه ،فإنه يحب الله و رسوله) ما يُنفى عنه بمجرد الكبيرة ،لا يُنفى عنه بمجرد الكبيرة أصل الإيمان ، إذن نحن فهمنا الآن أن قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن نفي الإيمان ،لكن الإيمان المنفي اتفقنا أنه ليس المراد به أصل الإيمان ،بقي الآن الإيمان الواجب و الإيمان المستحب ،هل المنفي هنا الإيمان الواجب أو الإيمان المستحب ؟ قطعا المنفي هنا الإيمان الواجب ، لأنه لا يأتي في نصوص الشرع نفي الإيمان في أمر مستحب ،لأن المستحب مستحب إن فعلته أثابك الله و إن لم تفعله لم يعاقبك فالمستحبات ليس فيها نفي إيمان ،إذن نفي الإيمان لا يكون إلا في أمر مستحب ،مثلا أيضا لما يقول عليه الصلاة و السلام : (ليس منا من لطم الخدود) (من غشنا فليس منا) رجل غش في البيع النبي عليه الصلاة و السلام قال : (ليس منا) ما المراد بالنفي هنا هل هو نفي لأصل الدين ؟ (ليس منا) يعني خارج من الملة ؟ لا ، بل المراد بالنفي هنا نفي كمال الإيمان الواجب ، المراد بالنفي هنا في مثل هذه النصوص و نظائرها نفي كمال الإيمان الواجب ، هذا هو المراد ، فيقول الشيخ : فمعه مطلق الإيمان ،و أما الإيمان المطلق فيُنفى عنه ،معه مطلق الإيمان أي عنده أصل الإيمان موجود مع أنه مرتكب للكبيرة أصل الإيمان موجود ، إذا كان ارتكابه للكبيرة مجرد فعل لها ،لكن ما رأيكم في شخص استحلّ الخمر قال :هي حلال أو استحلّ الزنا قال : هو حلال ،استحلّ ما حرّم الله ،هذا ما حكمه؟ هذا يذهب عنه أصل الإيمان لأن استحلال ما حرّم الله ناقل من الملة حتى و إن لم يشرب خمرًا و

لا مرة واحدة ،حتى و إن لم يزني و لا مرة واحدة ،إن استحلّ ما حرّم الله فهذا ينتقل ن الملة ،أما شخص يقع في هذه المعاصي و يعرف أنه عاصي ولكن غلبته نفسه وغلبته شهوته وغلبته نفسٌ أمارة بالسوء وقع في هذه المعاصي وإذا قيل له يقول ادعي الله أن يهديني وأن يتوب علي أن مُبتلى بهذه الأمور مثل هذا لا يكون كافرا ، بل هو مؤمن عاصي أو مؤمن فاسق أو مؤمن ناقص الإيمان هذا معنى قول الشيخ :فمعه مطلق الإيمان و أما الإيمان المطلق فيُنفى عنه ،الإيمان المطلق أي الكامل انتبه في فرق بين الإيمان المطلق و مطلق الإيمان ،مطلق الإيمان الذي هو أصل الإيمان هذا ثابت له ،أما الإيمان المطلق أي الإيمان التام الإيمان الكامل هذا يُنفى عنه مثل ما نفاه النبي صلى الله عليه و سلم عنه ، يُنفى عنه الإيمان الكامل و المراد بالإيمان الكامل أي الواجب كمال الواجب لأن الكمال في الإيمان كمالان كمال واجب و كمال مستحب ،الكمال الواجب درجة المقتصدين والكمال المستحب درجة المقربين { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } المقتصد هو الذي أتى بكمال الإيمان الواجب ،والسابق بالخيرات هو الذي زاد على كمال الإيمان الواجب بأن أتى بكمال الإيمان المستحب ، ومن فرّط في واجب من الواجبات أو فعل محرما من المحرمات لا يكون به كافرا يكون في درجة الظالم لنفسه ،و لا يكون كافرًا ظالما لنفسه بالمعاصي والذنوب ولا يكون كافرًا ،ولهذا هؤلاء الأقسام الثلاثة { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } كلهم قال الله عنهم :{ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا } وعرفنا أن دخول هؤلاء الجنة بالنسبة للمقتصد و السابق بالخيرات دخولا أوليًا من دون حساب و بدون عذاب و أما الظالم لنفسه عرضة للحساب أوعرضة للعذاب ثم مآله ومصيره بعد ذلك إلى الجنة ؛لأن الكبائر لا توجب خلودًا في النار بل صاحبها مآله و مصيره في نهاية الأمر إلى جنات النعيم كما دلت على ذلك الشواهد و الدلائل الكثيرة في كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم .

قال : وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة ،وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب والسنة أي أن هذه الطريقة التي عليها أهل السنة والجماعة هي طريقة الجمع بين النصوص، أما الطوائف الأخرى والمذاهب الضالة فإنهم يأخذون من النصوص ما يوافق أهوائهم ،وما يخالف أهوائهم يطرحونه ولهذا تجد الذين سلكوا جانب الوعيد مثل الخوارج و المعتزلة يأخذون بنصوص الوعيد أما نصوص الوعد و الرجاء هذه يهملونها و الذين أيضا غلبوا جانب الرجاء و أهملوا الوعيد يتركون نصوص الوعيد ،و أمثل لكم بمثالين من النصوص قول النبي عليه الصلاة و السلام : (لا يزني الزاني حين يزني و هو مؤمن) هذا يركز عليه الخوارج والمعتزلة ،ويتركون ما سواه من نصوص الوعد ، وحديث أبي ذر وهو حديث صحيح أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة و إن زنا و إن سرق) هذا يركز عليه المرجئة ،و يهملون نصوص الوعيد مثل (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) فتجد كل طائفة من هذه الطوائف المنحرفة تأخذ جانبا من النصوص يستشهدون به لمذهبهم الباطل و يتركون الجانب الآخر الذي يكشف خطأ ما يعتقده هؤلاء ،والطريقة القوام في

ذلك و الطريقة الحق هي الجمع بين النصوص ،ولهذه قال الشيخ –رحمه الله – بعد هذا العرض الموجز ، قال : وبهذه الأصول يحصل الإيمان بجميع نصوص الكتاب و السنة ،فيصلح العبد بذلك عاملا بجميع النصوص لا على الطريقة أقوام يعملون ببعض النصوص و يهملون بعضها .

قال –رحمه الله تعالى- : ويترتب على هذا الأصل:

أن الإسلام يجبُّ ما قبله.

وأن التوبة تجبُّ ما قبلها.

وأن من ارتد ومات على ذلك فقد حبط عمله.

ومن تاب تاب الله عليه.

الشيخ : قال –رحمه الله – :و يرتبون على ذلك – أي على ما سبق – أن الإسلام يجب ما قبله ، يجب ما قبله أي يهدم ما قبله يمسح ما قبله ،لو أن رجلا عاش كافرا من عمره ستين سنة ثم أسلم دخل في الدين ،دخوله في الإسلام يهدم كل ما كان قبله ،قد جاء في صحيح مسلم في قصة إسلام عمرو ابن العاص –رضي الله عنه – ،وعمرو بن العاص أسلم هو و خالد ابن الوليد في وقت واحد ،و دخلوا على النبي صلى الله عليه و سلم في وقت واحد كانوا ثلاثة جاءوا من مكة مسلمين اثنين خالد و معه شخص آخر و التقى بعمرو في الطريق فوافق معهم في الطريق و كلهم خرجوا بنية الإسلام و وصلوا إلى المدينة فسبقهم خالد إلى النبي عليه الصلاة والسلام ،ثم عمرو ابن العاص فمدّ عمرو يده إلى النبي عليه الصلاة و السلام ليبايعه على الإسلام ،فسأل النبي صلى الله عليه و سلم عن أعماله الكثيرة و آثامه الكثيرة ما شأنها ؟ قال : (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ؟) و الحديث في صحيح قال : (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ؟) فالإسلام يهدم كل ما كان قبله من الذنوب ،وهذا أصل من الأصول المتقررة عند أهل السنة ،من كان كافرا و فعل ذنوبًا كثيرة و لو كان من جملة الذنوب قتل المسلمين و قتالهم و مجابهة المسلمين مع صفوف الكفار من تاب تاب بالله عليه ، ولهذا بعض الصحابة كانوا قبل إسلامهم في صفوف الكفار يقاتلون المسلمين مثل خالد بن الوليد ومثل عمرو بن العاص ،وآخرين كانوا في صفوف الكفار يقاتلون المسلمين ثم ..تحولوا و هداهم الله عز و جل للإسلام وهدم الإسلام ما كان قبله و لهذا قال عليه الصلاة والسلام : (عجب الله لرجلين كلاهما يدخل الجنة يدخل أحدهما صاحبه كلاهما يدخل الجنة) ثم بيّن ذلك أن يكون أحدهما كافرا فيقتل وهو في صفوف الكفار يقتل المسلمين أو بعض المسلمين ثم يهتدي و يسلم و يهدم ما كان قبله و يدخل هو و من قتله في الجنة، الذي قتل حمزة عم النبي هو وحشي مولى جبير ابن مطعم رماه بسهم في مقتل فمات في معركة أحد ،هداه الله عز وجل للإسلام و أسلم ،وذهب مع صفوف

المسلمين الذين يقاتلون مسيلمة الكذاب مدّعي النبوة ،وقتل هو بنفسه مسيلمة الكذاب رماه بسهم ،كان يجيد النبل والرمي فرمى مسيلمة في مقتل فمات ،وقال : قتلت في جاهليتي خير أهل الإسلام وقتل في إسلامي شر أهل الجاهلية فمن أسلم مهما كانت جرائمه و ذنوبه وأعماله و تاب تاب الله سبحانه و تعالى عليه ،إذا تاب تاب الله سبحانه و تعالى عليه إذا شرح الله صدره للإسلام و تاب تاب الله عليه والتوبة تهدم ما كان قبلها ، و أذكر أحد الإخوة الأفاضل ذكر لنا في هذا المسجد وهو من إحدى الدول من أمريكا تحديدا يقول أرسل ورقة يقول إن جدتي عمرها فوق التسعين سنة ونحن منذ سنوات طويلة نحاول معها في الإسلام فتأبى يقول في الورقة يقول نبشركم أنها أسلمت و عاشت بعد إسلامها ثلاثة أيام ،يعني أكثر من تسعين سنة على الكفر وثلاثة أيام في الإسلام ،التوبة تهدم ما كان قبلها و لو كان بقي للإنسان من الدنيا أيام قليلة ومثلها القصة التي أوردها ابن كثير في تفسير قوله تعالى :{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام : ٨٢] قصة الرجل الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم وكان الرجل على دابته على بعيره فعرض عليه النبي صلى الله عليه و سلم أمور الإسلام فقال : أقررت ،لما قال هذه الكلمة أقررت ، ساخت قدم ناقته أو بعيره في حفرة جردان فسقط فمات ،مات مسلما مات على الإسلام وحظه من الإسلام أقررت فقط ،وحياته كلها كفر،وحظه من الإسلام أقررت ثم مات ، فالإسلام يهدم ما كان قبله ،قد قال عليه الصلاة و السلام : (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) فإذن من الأصول المتقررة عند أهل السنة أن الإسلام يهدم ما كان قبله،والحج يهدم ما كان قبله الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة من حج و لم يرفث و لم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ،فالتوبة ما كان قبلها و الحج يهدم ما كان قبله و جمع عليه الصلاة و السلام بين هذه في حديث عمرو ابن العاص في صحيح مسلم .

قال : و أن التوبة تجب ما قبلها :لأن من تاب تاب الله عليه و الله سبحانه و تعالى يقبل التوبة من عباده و يعفو عن السيئات مهما كانت الذنوب لا يتعاظمه سبحانه و تعالى ذنب أن يغفره { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً } فهو عز و جل يقبل توبة التائبين ،بل إنه سبحانه و تعالى مع كمال غناه عن العباد و عن توباتهم و عباداتهم و طاعاتهم مع ذلك فهو يفرح جل و علا كما أخبر بذلك نبيه صلى الله عليه و سلم يفرح بتوبة التائبين ،جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه و سلم ،قال : (لله أشد فرحا بتوبة عبده إذا تاب من أحدكم أضل ناقته بفلاة وعليها طعامه و شرابه حتى إذا يئس منها أوى إلى ظل شجرة فاستظل بظلها ينتظر الموت فبينما هو كذلك إذا بخطام ناقته عند رأسه فأمسك بخطام ناقته و قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك) أخطأ من شدة الفرح ،يقول عليه الصلاة و السلام : (لله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته) مع إنه سبحانه و تعالى غني عن توبة التائبين لا تنفعه توبة من تاب و لا طاعة من أطاع و لا إنابة من أناب و لا تضره معصية من عصى ،كما قال جل و علا في الحديث القدسي : (يا

عبادي لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ،و لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا) فهو جل و علا لا تنفعه طاعة الطائعين و لا تضره معصية العاصين { مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }

قال – رحمه الله –: و أن من ارتد و مات على ذلك فقد حبط عمله ،الردة محبطة للعمل ، يعني –والعياذ بالله – لو أن شخصا عاش مسلما حياته ثم في آخر حياته فعل ناقضا من نواقض الإسلام و أمرًا من الأمور التي يرتد بها المسلم و مات على الردة حبط عمله كل أعماله التي قام بها ،يعني لو فُرض أنه على الإسلام ستين سنة سبعين سنة ثم ارتد وعاش بعد الردة شهر أو شهرين كل أعماله السابقة تكون حابطة و باطلة {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} و الردة تكون بأمور كثيرة تقدح في أصل الإيمان مثل سب الدين أو سب رب العالمين تعالى الله عن ذلك ،بعض الناس في بعض المجتمعات على لسانه سب الدين أو سب الله مثل السلام عليكم ،هذه ردة محبطة للأعمال ،و الله لا يقبل الله منه لا صلاة و لا صيام و لا بر والدين و لا صلاة و لا أي عمل ، هذا ناقل من الملة مخرج من الدين ما ينفع معه عمل ،سب الدين أو سب الله أو سب النبي عليه الصلاة و السلام أو الاستهزاء بالدين {...قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ *لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ..}فالاستهزاء بالدين أو سب رب العالمين أو سب الدين أ, نحو ذلك هذا كفر ناقل من الملة و إذا مات الإنسان على ذلك و لم يتب إلى الله و يرجع إلى إسلامه لا تُقبل منه أي طاعة قال الله تعالى :{ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً }[الفرقان : ٢٣] فهذا من الأمور الناقلة من الإسلام ،أيضا صرف العبادة لغير الله مثل دعاء غير الله أو الذبح لغير الله أو النذر لغير الله أو الاستغاثة بغير الله أو غير ذلك من الأعمال التي هي صرف للعبادة ،العبادة حق لمن ؟ حق لله { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً} [الجن : ١٨] {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } فالأمور التي تنقض الإيمان و تقدح في أصله كثيرة ، فإذا فعلها الإنسان و مات عليها يموت مرتدًا و من مات مرتدًا حبطت أعماله كلها و بطلت كلها ثم أتبع ذلك –رحمه الله –بقوله : و من تاب تاب الله عليه ،يعني لو فُرض أن شخصا ارتد لكن تاب تاب من ردته تاب الله عليه ،وبقيت له أعماله لا تحبط أعماله لأن الردة المحبطة للعمل تاب منها فيبقى عمله له حتى العمل ،حتى العمل الذي كان قبل الردة يبقى له إذا تاب ،لكن أن مات على الردة إنا مات كافرا جميع أعماله برمتها و لو كانت عدد الرمل كلها تبطل ،كلها تذهب هباء منثورا ،لكن إن تاب من ردته صادقا مع الله سبحانه وتعالى في توبته تاب الله سبحانه و تعالى عليه ، و الله سبحانه و تعالى يقبل التوبة مهما كان الذنب و لو كان الذنب كفرا أو ردة أو غير ذلك من الذنوب ،من تاب من ذنبه تاب الله سبحانه و تعالى عليه ، هذا من ضمن الشواهد على التوبة و قبولها الرجل الذي قتل مائة

نفس أو قتل تسعة و تسعين نفسا ثم سأل عابد ليس عنده علم ،قال : إنني قتلت تسعة و تسعين نفسًا ،هل لي من توبة؟ قال : لا ، ليس لك توبة تسعة و تسعين نفس ليس لك توبة ، فقتل العابد كمل به المائة ، ثم أخذ يبحث عن أعلم أهل الأرض فدلوه على عالم قال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ قال : ومن يحول بينك و بينها ؟ اذهب إلى أرض كذا و كذا و اعبد الله معهم و اتجه الرجل و في منتصف الطريق جاءت منيته فتنازع ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب ،هؤلاء يقولون جاء تائبا و هؤلاء يقولون هذا قتل مائة نفس ،فقال الله سبحانه و تعالى قيسوا البلدين فإلى أيهم أقرب يكون ..فكان أقرب إلى الأرض التي ذهب إليها ،فقبضت روحه ملائكة الرحمة أو كما جاء في الحديث ،فالشاهد أن الله سبحانه و تعالى تواب رحيم يقبل التوبة عن عباده و يعفوا عن السيئات ،ومن تاب تاب الله عليه ،و لا ينبغي للعبد أن يقنط { لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً } و ينبغي للعبد أن يستغل أيضا المواسم المباركة و المواسم العظيمة ليتوب فيها إلى الله و يصدق فيها التوبة مع الله و لهذا العلماء ينصحون كثيرًا حجاج بيت الله الحرام أن يستقبلوا حجهم بتوبة نصوح ،و أن يبدأوا حجهم بتوبة صادقة إلى الله تبارك و تعالى من كل ذنب و خطيئة ،حتى يخرج من حجه نقيا طاهرا من الذنوب كيوم ولدته أمه و هذا هو ما أخبر عنه عليه الصلاة و السلام في الحديث في قوله : (من حج و لم يرفث و لم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) و نسأل الله عز و جل أن يتوب علينا أجمعين و أن يغفر لنا و لوالدينا و لمشائخنا و للمسلمين و المسلمات و المؤمنين و المؤمنات الأحياء منهم و الأموات و الله تعالى أعلم و صلى الله و سلم على عبد الله و رسوله نبينا محمد و آله وصحبه أجمعين .